International Journal of Linguistics, Literature and Translation
ISSN: 2617-0299 (Online); ISSN: 2708-0099 (Print)
DOI: 10.32996/ijllt
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijllt

الهوية والهجنة بين النص الأصلي والترجمة: "ثمار: يهودية فاس" لبنسون س. نموذجًا

ندير المرابط، طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مختبر التأويليات و الدراسات الثقافية والفنية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب.
د. العياشي الحبوش، أستاذ مؤهل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب.

تاريخ استلام البحث: 2024/07/20 **تاريخ نشر البحث: 2024/08/21** **المجلد: 7** **العدد: 8**

الملخص:
تتناول قصة "ثمار: يهودية فاس" للكاتب س. بنسون موضوعي الهوية و الهجنة في سياق المجتمع المغربي. تروي القصة رحلة ثمار، فتاة يهودية تعيش في فاس، تواجه تحديات متعددة تتعلق بقبول المجتمع واحترام هويتها. من خلال تحليل هذه القصة، نكتشف كيف تتنقل ثمار بين هوياتها المتعددة وكيف تتكيف مع الضغوط الاجتماعية والدينية المفروضة عليها. تُظهر القصة كيفية استخدام التهجين الثقافي والاجتماعي كوسيلة للتكيف والمقاومة، حيث تتبنى ثمار عناصر من الثقافة المغربية وتستفيد من دعم الشخصيات المختلفة مثل الراوي ذو الخلفية الأوروبية والباشا المغربي. تعكس هذه القصة القصيرة تعقيد الهوية وكيفية تشكيلها من خلال التفاعل المستمر بين الثقافات المختلفة، مما يعزز من فهمنا للطبيعة الديناميكية والمتعددة الأوجه للهوية في السياقات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: الهوية ، التهجين ، التكيف ، المقاومة ، السياقات الاستعمارية.

Identity and Hybridity Between the Original Text and Translation: The Case of "Thamar: The Jewess of Fez" by S. Benson

Nadir El Morabit, PhD student, Faculty of Letters and Humanities, Department of English Language and Literature, Laboratory of Hermeneutics, Cultural and Artistic Studies, Abdelmalek Essaadi University, Tetouan, Morocco.

Dr. Layachi El Habbouch, Associate Professor, Faculty of Letters and Humanities, Department of English Language and Literature, Abdelmalek Essaadi University, Tetouan, Morocco.

Corresponding Author: Nadir El Morabit, **E-mail**: nadir.elmorabit@etu.uae.ac.ma

RECIEVED: 20 July 2023 **PUBLISHED:** 21 August 2023 **DOI:** 10.32996/ijllt.2024.7.8.23

Abstract
The story "Thamar: The Jewess of Fez" by S. Benson addresses the themes of identity and hybridity within the context of Moroccan society. It narrates the journey of Thamar, a Jewish woman living in Fez, who faces various challenges related to societal acceptance and respect for her identity. Through analyzing this story, we discover how Thamar navigates her multifaceted identities and adapts to the social and religious pressures imposed upon her. The story illustrates the use of cultural and social hybridity as a means of adaptation and resistance, with Thamar adopting elements of Moroccan culture and benefiting from the support of different characters such as the European narrator and the Moroccan pasha[1]. This short narrative reflects the complexity of identity and its formation through the continuous interaction between different cultures, enhancing our understanding of the dynamic and multifaceted nature of identity in colonial and postcolonial contexts.

Keywords: identity, hybridity, adaptation, resistance, colonial contexts.

[1] The author uses *Bashaw* in the original text.

1. المقدمة

عرف المغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر وفود العديد من الكتاب والرحالة على رأسهم الفرنسيون وبصفة أقل الأمريكيين والبريطانيين منهم . من بين هؤلاء س. بنسون، حيث المعلومات شحيحة جدا عن هذا الكاتب والرحالة البريطاني. "ثمار:يهودية فاس" تم نشرها في Recollections and Tales of Morocco and Spain سنة 1874. وهي قصة تتحدث عن يهودية مغربية تعيش في مدينة فاس المغربية . بعد ابرام وعد بالزواج لصالح زوجها الموعود بنهادي بمباركة والديها، قررا أن ينتقلا للعيش في البرتغال على أن تتولى خالة/عمة ثمار (زبورة) رعاية ثمار الى غاية وصولها السن المنتظر لزواجها ببنهادي. سبب عقد الزواج هذا ضغطا عاطفيا ونفسيا لثمار. قررت زبورة على اثر معاناتها تخليص ثمار من الوعد المبرم من طرف والديها لبنهادي عبر تواصلها مع الحاخام بنعطار الذي أبدى تعاطفا مع محنة ثمار. لكن هذا الأخير سيستغل مركزه ونفوذه لتحويل معاناتها لصالحه بعد اطلاعه على كل التفاصيل مطالبا اياها بدءا بالترغيب ثم بعد ذلك بالترهيب للزواج به مقابل تخليصها من وعد بنهادي المبرم سلفا. الراوي القادم من أوروبا، وبعد اعجابه الشديد بجمال ورقة ثمار واعتباره اياه ضحية لمجتمع متخلف، قرر مساعدتها على الهرب متخفية بلباس رجل إبّان الاحتفال بأحد الأعياد اليهودية. مترصدا كل الحركات والسكنات للشاب الأوروبي والجميلة ثمار، قام بنعطار بالتآمر على ثمار وتم القبض عليها بتهمة اهانة الدين اليهودي عن طريق علاقتها المشبوهة بغريب ومحاولة التملص من وعد الزواج المبرم مع بنهادي. فور علم الشاب بمؤامرة بنعطار من طرف زبورة، قام باشعار باشا فاس الذي اقتحم مكان محاكمة ثمار في وقت كانت قاب قوسين من شرب سائل (سم) كان قد أعده بنعطار سلفا موهما هيئة المحكمة أن المشروب لاتأثير له على الصّادقين. في خضم ذلك، أرعب دخول الباشا الحاضرين حيث قام بفك ثمار من أغلالها وأمر بن عطار بشرب السائل لإثبات نيته، لكنه سقط متوعّدا الحضور ثم ميّتا بعد وعيده بلحظات. أما بنهادي فتجاوز عنه الباشا بعد تحرير ثمار من العقد المبرم. كما قام الباشا بمنحها إذنا بمغادرة البلاد متى شائت مع تحريرها من أي اجراء قضائي للسلطة اليهودية. "ثمار: يهودية فاس" هي قصة قصيرة زاخرة بالعديد من التيمات. سنتناول منها موضوع الهوية (identity) والتهجين(hybridity) في سياق المجتمع المغربي. من خلال ثمار، الفتاة اليهودية المغربية، نستكشف التحديات التي تواجهها بسبب خلفيتها الدينية والثقافية. من خلال تحليلنا لهذه القصة القصيرة سنفتح نافذة من ماضي المجتمع اليهودي المغربي من خلال ثمار التي تبدو في حلة تنقل هوّياتي متعدد وكيفية تفاعلها مع القيود الاجتماعية والدينية التي تفرضها كلا البيئتين، المغربية واليهودية من جهة، والغربية من جهة أخرى.

2. الهوية المعقدة

ثمار ليست فقط شخصية لفتاة يهودية تعيش في فاس، بل هي تجسيد لبيئة هوياتية معقدة ومتعددة الأوجه. حيث أنها من مجتمع أو بالأحرى تعيش ضمن الأقلية اليهودية في فاس المغربية، تواجه هذه الفتاة تحديات متعددة تتعلق بقبول المجتمع واحترام هويتها التي نشأت في بيئتها. وجدت ثمار نفسها مضطرة للتعامل مع هذه التحديات بطرق مختلفة. فتارة تحاول أن تتكيف وتارة تريد التغيير وأحيانا تلجأ لأسلوب المقاومة. أورد الراوي أن ثمار كباقي النساء اليهوديات يخلعن نعالهن عند مرورهن بأماكن العبادة. لانجد تعقيبا لثمار نفسها على هذه العادة. بيد أنها قد خضعت الى عملية التكيف (acculturation) داخل البيئة الكبرى المحتضنة. إذ يقول الراوي-الشاب الأوروبي: " ومع ذلك، فإن حياة هؤلاء اليهوديات تتميز بجمالهن وحزنهن، إذ يخضعن لحكومة طاغية، وضحايا لخرافات على مر الزمان. الذين يعرفون "من لايرحم لايُرحم" قد تلقى قصة ثمار المضطهدة اهتماما لديهم [...] العادة التي كانت تخضع لها النساء اليهوديات من خلع نعالهن وكشف أقدامهن العارية للتربة الخشنة عند مرورهن بجانب مسجد كانت تثير في نفسي شعورا بالقسوة." فالراوي ومن صبغة استشراقية محضة، أصدر حكما على ثقافة لم يعي بعد أبعادها وخصائصها. فهو تجسيد للغرب المتغطرس والمتمركز حول ذاته، يعرف مصلحته ومصلحة الآخر كما يقول ادوارد سعيدEdward Said: "من الواضح أنهم عرق تابع، يهيمن عليه عرق يعرفهم ويعرف ماهو جيد لهم أكثر مما يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم" (سعيد، 2003، ص. 35). يرى الراوي الغربي في ثقافته السمو والتحضر في حين يشكل الآخر ضمن الثنائيات المانوية نقيض التحضر والتجسيد الفعلي للآخر المحتاج لليد العليا الأوربية والعقل المستنير للتخلص من البيدائية والعادات السائدة. على النقيض من ذلك، ثمار لم 'تتأذى' من البيئة المغربية بتقاليدها وعاداتها. فمثلا، نجد حضور "السجادة المغربية" كجزء من هويتها المتعددة الأوجه ووقوف الباشا بجانبها لدليل آخر لايحتاج لتأويل. بالعكس، تضطر ثمار الى التمرد على هويتها عن طريق محاولاتها اليائسة "يجب أن أهرب من المصير التعيس الذي ينتظرني أو أموت." وهو ماسيتأتى لها، لكن دون طائل حيث تم القبض عليها وسجنها. فثمار تجسيد للهوية الهجينة، بل للعوامل المثيرة للتهجين. في هذا الصدد، يقول هومي بابا Homi Bhabha في كتابه The Location of Culture

> نجد أنفسنا في لحظة انتقالية تتقاطع فيها أبعاد المكان والزمان لتشكل أنماطًا معقدة من التباين والهوية، حيث يتداخل الماضي بالحاضر، والداخل بالخارج، والشمول بالإقصاء. تتجلى هنا حالة من الارتباك واضطراب في الاتجاه، فيما يُعرف بـ"ما بعد": حركة استكشافية غير مستقرة، تعبر عنها الكلمات الفرنسية au-delà بمعنى "ما وراء"، "هنا وهناك"، "في كل مكان"، "ذهابًا وإيابًا" (ص. 1).

فاللحظة الانتقالية التي وجدت ثمار نفسها فيها هي صراع للهوية الفردية (individual/personal identity) حيث تتميز هوية ثمار الشخصية بجمالها وشعورها القوي بقيمتها الذاتية، وهو ما يظهر من بداية القصة. على الرغم من الإعجاب الخارجي الذي تتلقاه، فإن ثمار مدركة تمامًا لمحدودية التصرف (agency) داخل مجتمعها المشكل لهوية جماعية بتأثيرها القوي حيث "تسهم في تشكيل وتحجيم شخصية الفرد" (بلمغاري، ص. 31). فالهوية الجماعية أثبتت لثمار أنها مترسخة وتحتاج للتنازل عنها كليا عبر عملية (assimilation) عن طريق الهجرة إذ" ستجد نفسها أسعد بكثير في أوروبا حيث تتمتع النساء هناك بامتيازات أكبر من الرجال." أو جزئيا عن طريق التعايش مع الثقافة المحتضنة لأقليتها عن طريق عملية (acculturation) وهو ماكانت عليه ثمار من قبل. ففي بيت عمتها يتوسط السجاد المغربي بهو المنزل وكذا وضع الحناء. ففي كلتا الوضعيتين نجد أن الهوية الثقافية لثمار هجينة تتماشى مع مفهوم اللاجوهرية الهوية non/anti-essentialism.

تظهر علاقات ثمار مع الراوي والباشا كيف أن هويتها ليست ثابتة بل هي نتيجة لتفاعلات متعددة مع مختلف الأشخاص والمؤسسات. هذا التفاعل بين الثقافات والهويات المختلفة يساهم في تشكيل هوية هجينة تعبر عن تعقيد تجربتها الشخصية. هذه العلاقات تعكس كيف يمكن للهوية أن تكون مرنة وديناميكية، وكيف يمكن للأفراد أن يتكيفوا مع الظروف المختلفة من خلال الاستفادة من الدعم الخارجي والداخلي.

3. الهجنة Hybridity

يعد مفهوم التهجين الذي يطرحه هومي بابا Homi Bhabha إطارا لفهم التجارب المعقدة التي تمر بها ثمار. فالتهجين ليس مجرد مزج بين ثقافات، بل هو عملية تفاعلية معقدة تتضمن التفاوض negotiation والمقاومة resistance وإعادة تشكيل الهوية Identity reconstruction. رحلة ثمار تعكس هذه العمليات بوضوح، حيث تسعى للتكيف مع بيئتها دون التخلي عن هويتها الأصلية. ثمار لم تتخلى عن هويتها كيهودية في ظل تأثير الهوية المغربية و الأوروبية. فنجدها تبقى على حدود هويتها الأصلية تأخذ من الهويات الأخرى مايمزج بين الثقافتين كوجود السجاد المغربي في منزل زبورة وكذا استعمال الحناء كإشارة للتعايش بين الثقافات في اطار مادي صرف. على النقيض من ذلك نجد التأثير الذي يمارسه الشاب الأوروبي بأبعاد تمس هويتها في شقه الروحي، أي هروب ثمار وتشبهها بالنساء الأوروبيات المتمتعات بحرية أكبر وهو بمثابة اجابة عن سؤال Spivak المعروف "هل يستطيع المهمشون التعبير عن أنفسهم؟" ? Can the subaltern speak. فتكون الصورة التعبيرية أن هذه الفئة المهمشة بتعبير غرامشي Gramshi لن تتحرر الا في بيئة التحرر والتحضر.

التهجين السلبي الي يحاول الشاب الأوروبي الزج بثمار في رداهاته لايعدو أن يفهم الا في اطار النسبية الثقافية culture relativism التي سقط فيها هذا الشاب الأوروبي القادم بتمثلات نمطية شبه جاهزة عن الثقافة المغربية واليهودية كثقافتين تمارسان كل أشكال الاضطهاد على النساء وتقديم ثقافته الأوروبية كبيئة للخلاص والتحرر.

3.1 التهجين الاجتماعية Social hybridization

تلعب العلاقات الاجتماعية دورًا حيويًا في تشكيل الهوية المعقدة لثمار وتعكس عملية التهجين الاجتماعي بوضوح. تبرز علاقات ثمار مع الراوي والباشا كأمثلة واضحة على هذا التهجين، حيث يمثل كل منهما تأثيرات اجتماعية وثقافية مختلفة تضيف إلى تعقيد تجربتها الشخصية. هذه العلاقات تسلط الضوء على كيفية تفاعل ثمار مع الهويات المتعددة والمجتمعات المختلفة المحيطة بها.

- **علاقة ثمار مع الراوي :** الراوي هو شخصية غريبة عن المجتمع المغربي، يمثل وجهة نظر خارجية قد تكون أكثر تسامحًا وتفهمًا لحالة ثمار. هذه العلاقة تضيف بُعدًا آخر لهوية ثمار، حيث تتفاعل مع شخص يأتي من ثقافة مختلفة تمامًا عن ثقافتها. يعبر الراوي عن إعجابه بجمال ثمار ورقّتها، ويصبح زائرًا منتظمًا لمنزلها، مما يعكس تأثيرًا ثقافيًا واجتماعيًا جديدًا في حياتها.

- **علاقة ثمار مع الباشا :** عكس الراوي، يمثل الباشا السلطة المحلية والنظام الاجتماعي والديني في المغرب. تفاعل ثمار مع الباشا يعكس التحديات والصراعات التي تواجهها في محاولتها لتحصيل العدالة والحرية ضمن هذا النظام. الباشا يُظهر جوانب من التقاليد والثقافة المغربية التي تفرض على ثمار ونساء مجتمعها قيودًا معينة. إلا أن تفاعله الإيجابي معها يُظهر إمكانية التغيير والعدالة ضمن هذا النظام. الباشا يساهم في تحرير ثمار من اضطهاد الحاخام بنعطار، مما يعكس كيف يمكن للسلطات المحلية أن تكون أداة للتحرر والتغيير الإيجابي في بعض الأحيان. تدل العلاقة مع الباشا على أن هناك جوانب إنسانية وأخلاقية يمكن أن تظهر حتى في النظم الأكثر صرامة، مما يوفر لثمار فرصة للاستفادة من دعم السلطة المحلية لتحقيق حريتها.

- **التهجين الاجتماعي كتعبير عن التكيف والصمود :** تعكس هذه العلاقات كيفية استخدام ثمار لعناصر التهجين الاجتماعي كوسيلة للتكيف والصمود في مواجهة التحديات. بفضل دعم الراوي والباشا، تتمكن ثمار من الحصول على بعض الحماية والفرص التي لم تكن متاحة لها ضمن مجتمعها اليهودي المحدود. هذا التهجين الاجتماعي يعزز من قدرتها على التفاوض مع النظام القائم والتغلب على العقبات التي تواجهها.

4. الخاتمة

في نهاية المطاف، تكشف قصة "ثمار: يهودية فاس" للكاتب س. بنسون عن عمق موضوعي الهوية والتهجين في سياق المجتمع المغربي. تعكس رحلة ثمار تعقيد الهوية الشخصية والجماعية في مجتمع متعدد الثقافات، حيث تتفاعل الهويات الثقافية والدينية والاجتماعية بشكل ديناميكي ومستمر. تُظهر القصة كيف أن الهوية ليست ثابتة بل تتشكل من خلال التفاعل مع مختلف العوامل الخارجية، بما في ذلك العلاقات الاجتماعية والثقافات المتنوعة.

من خلال تبني عناصر من الثقافة المغربية والتفاعل مع شخصيات مختلفة مثل الراوي والباشا، تبرز ثمار قوة التهجين كأداة للتكيف والمقاومة. تعكس هذه التفاعلات قدرة الفتاة اليهودية على التفاوض مع القيود المجتمعية والدينية والسعي نحو تحقيق الحرية والعدالة. في النهاية، تقدم القصة رؤية عن كيفية تمكن الأفراد من خلق هويات مركبة ومتعددة الأوجه من خلال المزج بين ثقافاتهم الأصلية والثقافات المحيطة، مما يعزز من فهمنا للطبيعة الديناميكية والمعقدة للهوية في سياقات متنوعة.

ترجمة القصة:

"ثمار: اليهودية الفاسية"

س. بنسون

جمال النساء العبرانيات لم يغب عن ناظري المسافرين في بلاد [2]البربر. الجمال الأنثوي يترك انطباعا مترسخا في الذهن أينما وحيثما وجد. لكن، وفي جوار الأطلس الشاهق حيث الطبيعة البشرية الوحشية والقاسية كالجبال، فإن رؤية هذه الفتيات الجميلات من الصحراء هو متعة غير معهودة. في هذه البقعة تمتاز اليهوديات بجمال نادر كأنه لجمال أمنا الأولى. هنا حيث العيون الكبيرة، الناعمة تظللها رموش طويلة حريرية، والشعر الأسود المبثوث يظلل الخدود الناعمة. لايقلل اللباس الشرقي من بهائهن بجلابيبهن المطرزة بالذهب والتيجان المرصعة بالجواهر و أساور الذهب المرنة. ومع ذلك، فإن حياة هؤلاء اليهوديات تتميز بجمالهن وحزنهن، إذ يخضعن لحكومة طاغية، وضحايا لخرافات على مر الزمان. الذين يعرفون "من لايرحم لايُرحم" قد تلقى قصة ثمار المضطهدة اهتماما لديهم. جمالها الأخّاذ وسلوكها الرفيع أثار اهتمامي بشكل ملفت. أصبحت أتردد على منزلها حيث لقيت كل الترحيب. تحدثت معها مرارا عن الصعوبات التي تواجهها أمّتها في بلاد البربر وسألتها عما إذا كانت ستجد نفسها أسعد بكثير في أوروبا حيث تتمتع النساء هناك بامتيازات أكبر من الرجال. كان جوابها عبارة عن نظرة كلها جمال ورقة مصحوبة بتنهد عميق. مكنتني علاقتي بباشا مدينة فاس من تبيان تعاطفي مع هذه الفتاة. العادة التي كانت تخضع لها النساء اليهوديات من خلع نعالهن وكشف أقدامهن العارية للتربة الخشنة عند مرورهن بجانب مسجد كانت تثير في نفسي شعورا بالقسوة. عرضت هذه الظروف على الباشا وسألته عما اذا كان بإمكانه إلغاؤها؛ أجابني بأنه "ستكلف أموالا طائلة أكبر قيمة من قبيلتهم لإعفائهم من عادة قديمة كهذه." ومع ذلك، وجدت سبيلا للحصول على أمر من الباشا يقضي بإعفاء ثمار من هذه العادة. كان الأمر مفاجئا لها حيث قبّلت يدي وشكرتني بكل لطف وشعور غامر. امتلأت عيناها الداكنتين بالدموع. شعرت بشيء يخالجها حيث كانت تصارع نفسها للتعبير عنه، لكنها افتقرت إلى الشجاعة لتبوح بما يدور في خاطرها. تحت إلحاحي الشديد، قالت أخيرًا، "أعتقد أنني أستطيع أن أثق بك، فأنت كريم جدًا، لكن ليس الآن، أسمع خطوات تقترب؛ عد غدًا في هذه الساعة، وسأخبرك بكل شيء."

لم أطق الإنتظار الى الوقت المعلوم. حظرت في الموعد المحدد قالت: "لقد تسببت طيبتك فيما توقعته، لقد مُنعت من استقبالك نهائيا."

لم أكن أعلم أن لأحد الحق في التحكم في زياراتي، وكنت على وشك الغضب. قالت: "تحكم في مشاعرك واستمع إلي." جلست بجانب ثمار على سجادة مغربية كانت موجودة وسط الغرفة. وبنبرة مضطربة قليلاً، بدأت: "الشخص الذي التقيته هنا كثيرًا هو زوجي المنتظر، وهو يغار من زياراتك."

"كنت أظنه والدك." "ومن الطبيعي أن تتخيل ذلك"، واصلت قائلة، "فهو يقترب من الخمسين من عمره، رغم أنني لم أتجاوز الثامنة عشرة. عندما كنت طفلة في المهد، أعطي العهد لهذا الرجل، الذي كان صديقًا لوالدي. وعندما كبرت، وافقت بحماقة على العقد الذي أبرمه والديّ، مما يجعلني تحت رحمته تمامًا. ومع ذلك، قلبي يرفض التضحية التي يجب علي تقديمها؛ يجب أن أهرب من المصير التعيس الذي ينتظرني أو أموت. اعتقد والداي أنني لن أختار إلا ما اختاروه لي، فتركا هذا البلد منذ بضع سنوات للإقامة في البرتغال. وضعاني تحت رعاية عمتي زبورة، التي، بدافع حرصها على سعادتي، أفصحت للحاخام بنعطار، أحد أكثر الكهنة احترامًا، عن عدم حبي لخطيبي المنتظر. وقد كسب هذا المنافق الماكر ثقتي بتظاهره بالتعاطف معي ، ولكن ما أن سمع بسر نفوري من خطيبي ورغبتي في الهروب من الزواج الموعود، حتى حاول فجأة تحويل هذا الإفصاح لصالحه. وعلى شرط أن أصبح زوجته حيث وعد بإلغاء العقد القائم مع بنهادي، وعندما رفضت اقتراحه، هددني بالانتقام إذا أفشيت سره أو تجنبت محاولاته. منذ تلك اللحظة، لم يتوقف هذا الكاهن الشرير عن اضطهادي بشهوته، والآن أصبح يهدّدني بكل عنف أنه إذا لم أقرر لصالحه سيعمل على تدميري. لا أجرؤ على الشكوى لأنني محاطة ببطانة مرتشية مستعدة لأفعال ظالمة. لا بد أن أصبح ضحية لأحد العاشقين اللذين أكرههما على السواء. الكرم الذي أبنت عنه يدفعني لاستشارتك في محنتي: كيف أهرب من المصير القاسي الذي ينتظرني؟"

أمسكت بيد ثمار ووضعتها على صدري فسحبتها بغضب. قالت: "أنا تعيسة حق، ولا أطيق المزاح. أرجوك أن تمتنع عن هذه العواطف إذا كنت تريد مساعدتي حقًا".

"في المستقبل"، قلت، "سأعيش فقط لخدمتك"، تراجعت باحترام. "ثقي بي دون خوف، وأعدك بأن أجد لك وسيلة للهرب".

"سأعتمد عليك"، قالت؛ "إذا حررتني، فستكون صلوات وامتنان هذه اليهودية لك؛ لكن تذكر أن مكافأتك الوحيدة ستكون تخليصي من الشقاء".

"كفى!" صرخت؛ "كل ما أطلبه هو إرضاء الجميلة ثمار ؛ ستسمعين مني قريباً." غادرت وأنا أفكر في كيفية تنفيذ نيتي. كانت المجازفة في تهريبها كبيرة، حتى وإن كانت بموافقتها، لأن الباشا يحق له فرض ضريبة ثقيلة على كل من يغادر البلاد، ودفع هذه الضريبة سيكشف عن محاولة هروب ثمار للعاشقين المتنافسين، وبالتالي على الأرجح سيفشل هروبها. ومع ذلك، قررت تنفيذ رغبتها رغم كل العقبات. كان عيد [3]البوريم على الأبواب،

[2] في السرديات الاستعمارية، يشير مصطلح "البرابرة" إلى الساحل الشمالي لأفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، وليبيا حالياً) ويرتبط بالغرائبية والقرصنة والوحشية. استخدمت القوى الاستعمارية الأوروبية هذا المصطلح لوصف المنطقة على أنها غير متحضّرة وتبرير تدخلاتها الإمبريالية.

[3] عيد البوريم (Purim) هو عيد يهودي يحتفل بإنقاذ اليهود من مؤامرة هامان الوزير الفارسي الذي كان يخطط لإبادتهم، كما هو مروي في سفر أستير. يُحتفل به في اليوم الرابع عشر من شهر مارس حسب التقويم العبري. تتضمن احتفالات البوريم قراءة سفر أستير في الكنيس، وتبادل الهدايا من الأطعمة والمشروبات، وتقديم الصدقات للفقراء، وإقامة وليمة احتفالية. من أبرز مظاهر الاحتفال أيضاً ارتداء الأزياء التنكرية وإقامة المسيرات والاحتفالات الشعبية.

وهو عيد يحتفل به يهود المغرب بفرح كبير. هذه الفترة فرصة للتنكر ؛ تُفتح أبواب كل بيت، ويُسمح للجميع بالمشاركة في الضيافة التي تسود في هذه المناسبات. ولأن عودتي إلى منزل ثمار كانت ممنوعة، استفدت من هذه الفرصة، وحصلت على زي نسائي فاخر، الذي بجهد قليل، أتاح لي تنكراً كاملاً. صبغت يدي وقدمي بالحناء، وضعت قناعاً أنيقاً على وجهي، وعند اقتراب المساء انطلقت وانضممت إلى أول مجموعة من المتنكرين المارّين. رافقتهم بصبر في جميع تجوالهم حتى وصلنا إلى منزل ثمار . ومع ذلك، تسبب مظهري الأنيق في مشاكل أكثر مما توقعت؛ أصبحت موضع جذب عام. بعد أن تخلصت من الحايك الكبير أو الشال ، أراد رفاقي المتنكرين، معرفة من أكون ودعوني لكشف وجهي و تناول بعض المرطبات، رفضت كل طلباتهم باستثناء الرقص، الذي لم أستطع تجنبه. بالإضافة إلى ضوضاء [4]الزمبومبا و[5]وغارغويلات العجائز العجائز، التي دعمت خطتي لإيصال وسائل الهروب إلى ثمار . لذلك انضممت إلى الرقص، وبالضغط على يدها بقوة، جعلتها تفهم بسرعة من أكون. أخبرتها أنه قبل نهاية العيد سأغادر إلى أوروبا؛ وأنني خططت لكل شيء لمرافقتها لي متنكرة كخادمة مغربية، وحصلت على أمر من الباشا بركوبها السفينة. وعدتها بالعودة بعد بضع ليال بملابس مختلفة لجلب الزي الذي سترتديه. وافقت على ترتيباتي، وفي زيارات لاحقة نقلت كل ما يلزم من معدات لهروبها. في آخر لقاء لنا أخبرتها بأن السفينة جاهزة في موكادور للإبحار، وأنه في الليلة التالية، قبل قليل من إغلاق الحي اليهودي، سألتقيها عند البوابة، ومعي بغل جاهز لرحلتها.

في الساعة المحددة توجهت إلى مكان اللقاء. لكن، لدهشتي الكبيرة، كانت بوابات [6]الحي اليهودي مغلقة. ظننت أنني أخطأت في التوقيت، فنظرت إلى ساعتي مرة أخرى، لكن الوقت المحدد للموعد لم ينقض بعد. شعرت بالارتباك الشديد لهذا الحدث غير المتوقع، وسألت عن سبب إغلاق الحي اليهودي في وقت مبكر، لكنني لم أحصل على إجابة مرضية. لذلك عدت إلى المنزل الذي كنت أقطن سابقًا، مصممًا على تأجيل رحلتي حتى يتضح هذا اللغز. قضيت ليلة مضطربة حقًا، ونهضت مبكرًا في صباح اليوم التالي للحصول على بعض الأخبار عن ثمار ، عندما دخلت العمة زبورة غرفتي، لاهثة ومضطربة.

"لقد دمرتها، و ستتسبب في ضياعها!" صرخت المرأة العجوز؛ "وحماقتك التي لا تُغتفر هي السبب في ذلك."

"ماتت!" صرخت، بالكاد أمتلك الشجاعة لسماع الرد، ولكن لم تنطق المرأة العجوز بكلمة، بل استمرت في النحيب والبكاء. "أخبريني، بحق الرب"، صرخت، "ماذا حدث؟"

"مسجونة في زنزانة! محرومة من ضوء النهار! في أيدي الحاخام بنعطار، ألد أعدائها! من سيحررها الآن من مضطهديها؟ آه يا بنيّتي المسكينة، لن أراكِ مجددًا أبدًا!"

"إنها لا تزال على قيد الحياة؛ إذا هناك بعض الأمل. بسرعة، أخبريني أين هي محبوسة، لكي أسرع لإنقاذها."

"آه!" صرخت زبورة، "لو كنت أعلم لما وقفت هنا أبكي. كل ما أستطيع إخبارك به هو أن الحاخام بنعطار، هذا الكاهن الشرير، انجذب إلى صاحب القناع الذي دخل بيتي ومحادثته الوثيقة مع ثمار ، وتتبع مكان إقامته هنا. شكوكه قادته لاكتشاف عودته إلى منزلي بملابس مختلفة. الليلة الماضية، أمر هذا الرجل الشرير بإغلاق بوابات الحي اليهودي في وقت مبكر، وتم التفتيش في جميع أنحاء حيّنا، حيث تم اكتشاف ثمار المرتجفة وسط صيحات وسخريات الحاضرين، مرتدية زي رجل، وتم اقتيادها أمام شيوخ شعبنا، حيث اتُهمت بجرائم خطيرة، وأمروا بمحاكمتها محاكمة رسمية، ووضعوها في السجن الانفرادي. حتى زيارتها ممنوعة."

"لن يحدث ذلك!" صرخت، "طالما بقي لي صوت أو تأثير. سأتوجه فورًا إلى شيوخ شعبكم، وإذا لم يطلقوا سراح ثمار ، فسألجأ لنفوذي لمعاقبتهم جميعًا."

"ستدمر ثمار تمامًا بهذه الخطوة"، قالت زبورة. "تدخلك سيزيد فقط من عدائهم لها. سيعتبرونك العاشق المفضل للمتهمة، وستُنفى كمنبوذة من بين شعبنا."

مرتبكاً بسبب الملاحظات العادلة لزبورة، قررت في النهاية اتخاذ مسار آخر، وهو استرضاء الباشا لحماية واثبات براءة ثمار. بجهد كبير اكتشفت أنها قد نُقلت إلى سرداب المتوجود تحت بعض المنازل المهدمة و المتخلى عنها في جزء مهجور من المدينة، حيث يجتمع اليهود عادة للتشاور بشأن أي مسألة يرغبون في إبقائها سرية عن السلطات، أو لتنفيذ أي إجراءات تتعارض مع سلطة أسيادهم المغاربة.

في تلك البقعة تم تقديم ثمار للمحاكمة. كل جريمة يتخيل أن يقترحها غرور الكاهن المجروح وشغفه المخيب اتهمت بها. كان المضطهد الظاهر هو العاشق بنهادي، لكن بنعطار، الذي كانت لديه أسبابه الخاصة للقيام بذلك، زعم أن الدين اليهودي قد أُهين بسلوكها، مما أثار حفيظة قضاة المحكمة. التهمة الرئيسية الموجهة إليها كانت خرق التزامها ببنهادي من خلال علاقتها الوثيقة مع غريب، وعدم احترام ديانتها المقدسة، ومحاولة الفرار من

[4] الزمبومبا (Zambomba) هي آلة موسيقية تقليدية تُستخدم في الموسيقى الشعبية الإسبانية، خصوصًا خلال عيد الميلاد. تتكون من أسطوانة مغلقة بغطاء جلدي مثقوب، يتم فرك قضيب خشبي فيه لإنتاج صوت يشبه الهدير. تُستخدم في الأناشيد والترانيم الشعبية خلال التجمعات العائلية والاحتفالات الدينية في إسبانيا.

[5]" غارغويل (Gargoyle) "هو تمثال منحوت على شكل مخلوق خرافي أو وحش يستخدم بشكل أساسي في العمارة القوطية لتصريف مياه الأمطار بعيدًا عن جدران المباني. تُستخدم الغارغويلز أيضًا كعناصر زخرفية تزين الكاتدرائيات والمباني القديمة، وتُضفي عليها طابعًا مميزًا وغامضًا. في الأصل، كانت الغارغويلز تُصنع لتكون عملية وتساعد في الحفاظ على المباني من تأثيرات المياه، ولكنها أصبحت أيضًا رمزًا للديكور القوطي والفن المعماري.

[6] يطلق عليه كذلك الملاّح وهي الأحياء اليهودية التقليدية في المغرب.

بلدها متخفية. تم تقديم وثيقة وعد الزواج، والزي المغربي، وشهادة العديد من الشهود المزيفين، في ترتيب مرعب ضد الفتاة اليهودية. لم يكن يناسب خطة الحاخام إصدار حكم نهائي على الفور؛ وجد أعذاراً كافية لتأجيل الإجراءات، وبعد أن نجح في بث الخوف في ذهن ثمار، الذي في الواقع، قد ينجح ضده أمهر الخصوم، طالب بإعادتها إلى زنزانتها.

كانت ثمار الجميلة غارقة في حزنها حيث كانت مستلقية على سريرها المصنوع من القش في سجنها الرطب والمظلم، عندما أفاقت من عزلتها بدخول الحاخام بنعطار.

قال: "المخالفة قوانيننا، انهضي! هل بدأت في التخلي عن كبريائك؟ أين هو أفقك المتخيل الآن؟ ألا ترين بعد مدى نفوذي وقوتي؟" بدأ يرسم لثمار، بألوان زاهية، أدلة الجريمة التي يمكن أن تُقدم ضدها، ولمح إلى أنه الوحيد الذي يمكنه إنقاذها من مصيرها الوشيك. أمرها بالتفكير في حماقة العبث بمشاعره، وأن تختار بين حبه والعقوبة التي يمكن أن يفرضها القانون.

رياء الحاخام ووقاحته زادا من كراهية ثمار لاقتراحاته. كادت تهدد بفضحه أمام الشيوخ المجتمعين في الجلسة القادمة؛ ولكن عندما تذكرت أنه ليس لديها شهود على سلوكه السيء، وأن كلمتها غير المدعومة بالبراهين لن تقف أمام حياة الحاخام التي تبدو مليئة بالتقوى والتزمت الديني، وحيث لا تملك أي أدلة، فلن تُعتبر إلا جهودًا بدون جدوى لمجرمة في حالة يأس. انهار قلبها داخلها، وحافظت على صمت اليأس. استحوذ عليها الشعور الرهيب بأنها ستصبح ضحية لمكائده. مزقت شعرها الذي يغطي عينيها الدامعتين، ولعنت جمالها الفتاك الذي ألهم مثل هذا الجشع. ألح بنعطار على قبولها لعرضه. تحول حزنها إلى أقصى درجات الغضب. قالت: "بدلاً من أن أصبح ضحية لشهوتك البغيضة، ستحررني هذه اليد من العبودية! امضِ قدمًا، أيها الكاهن المنافق، وأعمي أعين أتباعك الخرافيين، وقم بتقديم تضحيات جديدة لنفاقك؛ لكن تذكر، فأنا ما زلت سيدة نفسي!"

تعجّب الحاخام من ثباتها فاستشاط غضبًا من تحديها لسلطته، وبالرغم من الشغف الذي يسيطر على قلبه، أضحى الآن لايفكر الا في الانتقام. قال: "ارتجفي وتحملي قرارك أيتها المتعجرفة، فلم يسبق لأحد أن أهانني أن يفلت دون عقاب." وفي نوبة من الغضب وخيبة الأمل، غادر الزنزانة.

اقترب موعد الجلسة الثانية لمحاكمة ثمار. وقفت ثابتة كالارز اللبناني، في بهاء شبابها وجمالها، أمام هذه الهيئة القضائية التي نصبت نفسها بنفسها. لو كانت أمام قضاة آخرين، لكانت نظراتها وحدها كفيلة بإقناعهم ببراءتها، ولكن بسبب تحيزهم المكشوف، لم يكن حتى صوت ملاك ليحدث تأثيراً. بدون أي أمل سوى ذلك المستمد من وعيها بسلامة تصرفاتها، واجهت جميع الاتهامات التي لففقتها آمال الحاخام بنعطار المحطمة.

كان العريس العجوز والحاخام في آنٍ واحد مناصرين لبعضهما البعض. الأول يصرّ على حقه في المطالبة بيد ثمار إذا ثبتت براءتها، بينما كان في الوقت نفسه (أداة في يد الحاخام المتآمر) يعمل جاهداً لإثبات ذنبها. استؤنفت الأدلة مرة أخرى؛ وكانت الجدية المصطنعة والتأثير الديني للحاخام لهما وزن في كل شيء قُدِّم ضد ثمار، التي كان جُرمها جزئياً في تفوق عقلها على بقية قبيلتها. رداً على بعض الأسئلة حول آرائها واهتماماتها، قالت بثبات: "لن أنكر أن خيالي قد امتلأ بالأوهام، وأنني، رغم العادات العامة، سعيت لتنمية عقلي بالكتب، لأجد في صحراء الخطأ الواسعة التي تحيط بي بعض الراحة من الجهل الذي نحن فيه. إذا كان الطموح إلى المعرفة جريمة، فأنا مذنبة! إذا كان كره الاتحاد الذي لا يمكن لقلبي أن يشترك فيه جريمة، فأنا مستحقة للعقاب! إذا كان رفض الاضطهاد والتعصب الذي يثقل كاهل أمتي خطأ، فأنا مخطئة! لكنني لن أتنازل لأحد في نقاء حياتي وأخلاقي؛ ولذلك أطلب التحرر من حكم محكمة تجعل الظروف من المستحيل أن أجد فيها آذانا صاغية."

"يا امرأة!" قال الحاخام بنعطار بصوت صارم، "لا داعي لأن تدافعي عن نفسك بهذا العنف. الكلمات هي أسلحة جنسك. سنستند في قضية الفضيلة المنتهكة على دليل أقسى من ادعاءاتك."

أثار هذا الكلام غضب ثمار الصبورة والودودة. فقالت: "أيها الكاهن، سأعفيك من الإجابة المكفولة لي أصلا. سأقول فقط، أنه لا أحد على وجه الأرض يمكنه أن يكون أكثر اقتناعًا بنقاء سريرتي أكثر منك."

ارتبك الحاخام وقال: "ثمار، قضاتك لا يدّعون لأنفسهم القدرة على قراءة القلوب البشرية؛ الظروف بالتأكيد قوية بما يكفي لتبرير أقصى درجات الصرامة؛ لكن الرب، الذي وحده يستطيع الحكم بشكل صحيح على الأعمال البشرية، هو من سيقرر؛ لقد قررنا إحالة مسألة ذنبك أو براءتك إليه. لقد اتفق زملائي القضاة معي على المسار المناسب الذي يجب اتباعه في هذه القضية. كوني مستعدة للشرب."

كان سائلاً أقنع الحاخام بنعطار إخوانه بأنه جلبه من الأرض المقدسة، وأنه يمتلك القدرة على إظهار الحقيقة في أوضح صورها. كان أحد العادات الخرافية العديدة التي كانت سائدة في العصور السابقة، والتي استخدمها الكهنة اليهود الماكرون لتدمير من يرغبون في التخلص منهم. الحاخام بنعطار، الذي كان متمرسًا في أسرار الكابالا، لم يجد صعوبة في إقناع إخوانه بأنه يمتلك أسرار الحياة والموت، الخير والشر، التي قيل إن أجدادهم كانوا يمتلكونها. لذلك، أقنع زملاءه بسهولة بالموافقة على الاجراء الذي اقترحه لاختبار براءة ثمار. هذا الشيطان، تحت ذريعة تأكيد حقوق العريس، الذي ادعى أنه صديق حميم له، وكبطل لدين كانت تعاليمه الحقيقية يدوسها تحت قدميه في تلك اللحظة، سعى فقط لملء كأس انتقامه الخاص. لقد قرر، إذا لم يستطع امتلاك ثمار بنفسه، أن يمنعها من الوقوع في يد أي شخص آخر، حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بحياتها؛ لذلك، أعد سائلاً ساماً، ادعى أنه ماء نقي، وطهره بالعديد من الطقوس الزائفة الغامضة، وكتب بعض العبارات على الرق ثم كشطها وخلطها مع الشراب.

ثمار البريئة، التي لم تكن تتوقع مدى شر الكاهن، لكنها في الوقت نفسه لم تكن تثق في فاعليّة المعجزات، وافقت بمرح على الاجراء الذي اقترحه القاضي. روحها النقية لم تستطع أن تتصور مدى غيرة الكاهن الخبيثة.

تلى بنعطار الصلاة الأخيرة؛ ثم قدم الكأس، الذي تم تحضير الشراب فيه، إلى العريس، وأمره بتقديم المشروب إلى ثمار. الفتاة الواثقة، المطمئنة إلى سلوكها النزيه، رفعت نظرة إلى السماء أولاً، وتوسلت إلى الله أن يحمي براءتها، ثم أمسكت بالكأس ورفعته إلى شفتيها.

في تلك اللحظة، دوى صوت مثل "الرعد" كاسراً أبواب الجمعية السرية. اندفع جيش [7]معمم، بسيوف يلمع بريقها، إلى السرداب، وفي لحظة، أمسكوا بكل عضو من أعضاء هذه المحكمة المظلمة وقيدوهم. سقطت صرخات اليأس من شفاههم المرتجفة؛ واستنجد الشيوخ بإله إسرائيل لينقذهم من الموت العنيف الذي رأوه بالفعل أمام أعينهم. ركع البعض على ركبهم، وعرض آخرون كل ممتلكاتهم الدنيوية للسماح لهم بالهرب، ووقفت قطرات العرق الكبيرة على جباههم الشاحبة.

باشا فاس، الذي رافقته ولفت نظره لتحقيق العدالة، وقف في وسط الجمعية المرعوبة.

قال بصوت طالما اعتادوا على الارتجاف منه: "أيها الأوغاد! منذ متى تجرأتم على اغتصاب السلطة التي تخص السلطان وحده أو نائبه؟ تكلموا وإلا سأمحوكم جميعًا من سجلات الخلق. قولي، أيتها اليهودية"، صاح موجهاً كلامه إلى ثمار، "لماذا تقفين هنا كسجينة، وما معنى هذا الكأس الذي تحملينه في يدك؟"

ثمار، بأسلوب رقيق، روت قصة احتجازها ومحاكمتها، وفي الختام، أوضحت كيف أن الحاخام بنعطار طلب منها شرب السائل الذي تحمله في يدها لإظهار براءتها أو ذنبها، وهو أمر كانت مستعدة تمامًا لتنفيذه. ناشدت الباشا، بما أنهم وافقوا على وسيلة بسيطة كهذه، أن يعفو عنهم ويسمح لها بإرضاء قومها بالخضوع للإجراء المقرر. ثم رفعت الكأس إلى شفتيها مرة أخرى، وهي على وشك شرب محتوياته.

"توقفي عن هذا العمل الطائش، ثمار، بحق السماء!" صرخت، وهمست ببضع كلمات إلى الباشا.

توهجت عيون الباشا غضبًا. "أعطني الكأس!" قال لثمار، وأخذ الكأس من يدها. "اخرج أيها الكاهن المحتال!" صرخ موجهاً كلامه إلى بنعطار. زحف الحاخام المرتجف بجسم منحني نحو الباشا وقبّل طرف ثوبه.

تابع الباشا قائلاً: "أخشى كثيرًا أن هذا السائل يحتوي على خليط سام. تكلم: هل ظني صحيح أم لا؟"

"أيها الباشا النبيل!" صاح الحاخام، "أقسم أنه لا يحتوي على شيء ضار بالأبرياء؛ يمكنه فقط أن يؤثر على المذنبين".

"إذاً، لماذا سعيتم إلى إخفاء إجراءاتكم تحت أنقاض هذا الجزء المهجور من المدينة؟ لماذا، مثل البوم، تتجنبون ضوء النهار؟"

"أقسم بحياة السلطان مولاي عبد الرحمن، الذي حفظه الله لألف عام، لم نقصد أي ضرر، كل ما كنا نريده هو اتباع جميع طقوسنا القديمة في محاكمة من هذا النوع التي توقفت منذ زمن طويل بيننا، والتي قد يسخر منها أحدكم".

"هل أنت مقتنع بأن الشراب يمكن أن يؤذي المجرمين فقط؟"

"لا أحد غيرهم، يا سيدي".

"إذاً، اشرب كل قطرة منه فوراً، أو بحياتي، وبقبر آبائي، بحق السلطان الذي أخدمه، سأفصل رأسك عن جسدك في الحال".

أطلق الحاخام المرتجف أنيناً من اليأس. ألقى بنفسه على ركبتيه، وتوسل إلى الباشا أن يسجنه في أعمق زنزانة في المدينة، وأن يأخذ ذهبه، أي شيء إلا أن يجعله يشرب الكأس الذي أعده".

أشار الباشا إلى أربعة من عبيده السود الأقوياء. "خذوا الحاخام من هنا"، قال، "وألقوه في الهواء حتى تنكسر عنقه عند السقوط، ثم اقذفوا جسده في خندق الأسود بجوار الجدار الشرقي".

كان هذا الأمر سينفذ بالسرعة التي صدر بها؛ الحاخام كان يعرف ذلك جيداً، وطلب الكأس ليشرب السائل.

"اللعنة عليكم جميعا"، قال، "وليجعل الله حياتكم أكثر مرارة من هذا الشراب بالنسبة لي، وليكن عمركم طويلاً حتى..." هنا استحوذت التشنجات على جسد الحاخام وأصابته بالشلل. لون شاحب اعتلى وجهه: بدأ يرغي من فمه، وتمايل على الرصيف، وفارق الحياة.

شاهدت ثمار الكارثة بعيون مليئة بالدموع. رأت الآن، لأول مرة، الخطر الذي كانت تتعرض له، وغمرتها مشاعرها. ركضت زبورة الوفية لدعمها، وعندما استعادت وعيها، أشارت إلي كمنقذ لها. غمرتني الجميلة ثمار بعبارات امتنانها. طلبت منها أن توجه شكرها للباشا، وهو ما فعلته أيضاً. هذا المسلم النبيل أعاد لحكومته السابقة سمعتها الطيبة بتصرفاته النبيلة تجاه ثمار. ألغى عقد الزواج الذي كان بحوزة بنهادي، اشترط عليه أن يتخلى عن طلب يدها مقابل العفو عنه لمشاركته في جرائم المتآمرين؛ أما البقية، فأطلق سراحهم بعد دفع مبالغ كبيرة من المال، ومنح ثمار الإذن الكامل لمغادرة البلاد متى شاءت، وأعفاها من أي مسؤولية أمام القضاء اليهودي طالما رغبت في البقاء.

[7] كناية عن العمامة.

Original Text **النص الأصلي**

THAMAR: THE JEWESS OF FEZ[8]

by S. Benson

The beauty of the Hebrew women of Barbary has not escaped the observation of travellers. Female loveliness must create a deep impression on the mind, in whatever land it is found; but in the vicinity of the stupendous Atlas, where human nature is wild and rugged as the mountain scenery, to meet with these beauteous children of the desert, is an unlooked-for pleasure. Here the Jewish women possess all the primeval charms, which the imagination pictures to itself, as having belonged to our first mother. Here are seen the large, soft melting eyes, fringed by the long silken lash; the jet black hair, shading the cheek of jessamine and roses. Nor is the Oriental dress, here preserved, the gold- embroidered jillick and robe, the gemmed tiara, and anklet of pliant gold, at all calculated to diminish the lustre of their appearance. Yet is the existence of these daughters of Israel marked only by their beauty and their sorrow, they are subject to all the indignation of a tyrannical government and are the slaves of time-darkened superstitions. Those who "know what 'tis to pity and be pitied," may find some interest in the tale of Thamar, a daughter of this oppressed race. Her personal beauty and gentle manners had deeply interested me. I became a frequent visitor at her house, where I was always welcomed with pleasure. I had often conversed with her on the difficulties under which her nation laboured in The Barbary and asked her if she would not find herself much happier in Europe, where females enjoyed even greater privileges than men. A look of inexpressible sweetness, and a deep-drawn sigh, was my only answer. My influence with the Bashaw of Fez enabled me to show how far I sympathized with this lovely creature. The custom to which the Jewish women were subjected, of taking off their slippers, and exposing their naked feet to the rough soil, on passing a mosque, had struck me as a peculiar cruelty. I represented this circumstance to the Bashaw and asked him if it was not in his power to abolish it; he answered me "that it would require more money than all their tribe was worth to purchase an exemption from such a long-established custom." I, however, found means to succeed in getting Thamar excepted from the general rule, and one morning presented her with an order I had obtained from the Bashaw to that effect. This favour had been as unsolicited as unlooked-for on her part, and kissing both my hands, she thanked me for my kindness, with an emotion that nearly overpowered her. Her brilliant dark eye filled with tears. I fancied I yet saw something within them that she was labouring to express but wanted courage to tell. Pressed by my solicitations, she at last said, "I think I may confide in you, you are so generous, but not now, I hear footsteps approach; return tomorrow at this hour, and I will tell you all."

My impatience could scarcely brook the prescribed delay. I was punctual to my appointment. "Your kindness," said she, "has had effect I imagined, I am forbidden to receive you anymore."

I was not aware that any one had the right to regulate my visits, and was disposed to be angry. "Control your feelings," said she, "and listen to me." I seated myself beside Thamar on a Moorish carpet which occupied the centre of the room. In a slightly-agitated tone, she commenced: "The person you have often met here is my destined husband, and he is jealous of your visits."

"I thought him your father, Thamar." "And well," continued she, "might you so imagine, for he is near fifty years of age, though I am but just eighteen. Whilst yet a child in the cradle I was affianced to this man, who was a friend of my father's. When I grew up, I foolishly ratified the contract my parents had made, which places me entirely at his mercy. Yet my heart refuses the sacrifice I am bound to make; I must escape the unhappy lot that awaits me, or die. My parents, in the persuasion that I could have no other choice but that which they had made for me, left this country some few years back, to reside in Portugal. They confided me to the care of my aunt Zipporah, who, in her zeal for my happiness, confided my dislike to my destined husband to the Rabbi Benatar, one of the most revered of our priesthood. This subtle hypocrite won my confidence by his seeming sympathy in my grief, but he had no sooner heard the secret of my aversion to my lover, and my desire to escape the proposed union with him, than he suddenly endeavoured to convert the disclosure to his own advantage. On condition that I would become his wife, he promised to annul the contract existing with Benhadi, and when I turned with the repugnance I could not hide from his proposal, he threatened me with his vengeance if I betrayed his secret, or avoided his addresses. From that hour this wicked priest has never ceased to persecute me with his passion, and now declares, with most violent threats, if I do not decide in his favour, to pursue me to my undoing. Complain I dare not; for surrounded as I am by power which can be bribed to any act of injustice, I must become the victim of one

[8] Bekkaoui K. (2008). *Imagining Morocco: An anthology of Anglo-American short narratives*.

of two lovers whom I equally dislike. The generosity you have displayed towards me induces me to consult you in my distress: how I shall evade the cruel destiny that awaits me?"

I seized Thamar's hand and pressed it to my bosom, with offended pride she drew it back. "My unhappiness," said she, "is of too serious a nature for trifling. I must beg you to abstain from these passionate effusions, if you are really desirous to assist me."

"For the future," said I, "I only breathe to serve you," and drew back respectfully. "Confide yourself fearlessly to my honour, and I promise you the means of escape."

"I will rely on you," said she; "if you free me, then shall the prayers and gratitude of the Jewess be yours; but recollect your only reward will be that of having relieved a fellow-creature from wretchedness."

"Enough!" cried I; "all I ask is to please the beauteous Thamar; you shall hear from me soon. I took my leave, ruminating on the means of carrying my intention into execution. The danger of carrying off a Jewess was great, even with her own consent, the Bashaw being entitled to a heavy duty on every one who leaves the country, the payment of which would have exposed Thamar's intended flight to the rival lovers, and thus in all probability have foiled her escape; yet, in spite of every obstacle, I determined on fulfilling her wishes. The festival of Purim was at hand, an epoch which the Jews of Barbary celebrate with great rejoicings. This period is one of continued masquerading; the doors of every house are thrown open, and everyone is at liberty to partake of the hospitality which prevails on these occasions. My return to Thamar's house being forbidden, I profited from the opportunity this festival afforded, and procured a splendid female costume, which, with some little pains, formed a complete disguise. I stained my hands and feet with henna, adjusted a neat mask to my face, and at the approach of evening sallied forth, and joined the first group of maskers that passed by. I patiently accompanied them in all their rambles, till we arrived at the house of Thamar. My elegant appearance, however, caused me more difficulties than I anticipated; I became the object of general attraction. My fellow masqueraders (being now divested of my large el-haicke, or shawl,) wished to know who I was and invited me to unmask, or partake of some refreshment, all their requests I refused except that of dancing, which I could not well avoid. Besides the noise of the zambomba, and the *gargualas* of the old women, rather favoured my project of conveying to Thamar the means I had devised for her flight. I therefore joined in the dance, and pressing her hand with fervour, soon made her understand who I was. I informed her that before the end of the festival I should depart for Europe; that I had planned everything for her accompanying me in the disguise of a Moorish servant, for whose embarkation I had procured an order from the Bashaw. I promised to return several nights in different costumes, to convey to her the dress which she was to wear. She seconded my arrangements, and at a few subsequent visits conveyed everything necessary for her equipment. At my last interview I informed her of the vessel's readiness, at Mogadore, to put to sea, and that on the following evening, a little previous to the locking-up of the Juderia, a Jew quarter of the city, I would meet her at the gate, with a mule, ready to convey her forward on her journey.

At the appointed hour I proceeded to the place of rendezvous; but, to my great surprise, the gates of the Juderia were closed. I thought I had mistaken the hour, and again looked at my watch, but the time had not yet clapsed at which I had made the appointment. I felt perfectly confounded at this unexpected incident and inquired the reason of the Juderia being closed at so early an hour, but received no satisfactory answer. I therefore returned to the house I had previously occupied, determined to defer my journey till this mystery should be cleared up. I passed a truly restless night and rose early the next morning to gain some intelligence of Thamar, when, breathless and agitated, the aunt, Zipporah, entered my apartment.

"She is ruined she is lost!" shrieked the old woman; "and your unpardonable folly is the occasion of it."

"She is then dead!" cried I, with scarcely courage to listen to the reply, but not a word could be got from the old woman, who continued to sob and weep. "Tell me, for Heaven's sake," cried I, "what has happened?"

"Imprisoned in a dungeon! Shut out from the light of day! In the hands of the Rabbi Benatar, her bitterest enemy! Who will deliver her now from her persecutors? Oh! M my poor mistress, I never shall behold thee more!"

"She yet lives; then there is some hope. Quick, tell me where she is confined, that I may fly to her rescue."

"Alas!" cried Zipporah, "if I knew that I should not stand here weeping, all I can tell you is, that the Rabbi Benatar, that somber malicious priest, struck by the splendour of a mask that entered my house, and its close conversation with Thamar, traced its dwelling here. His suspicions subsequently led him to discover its return to my residence in different disguises Last night this wicked man caused the gates of the Juderia to be closed at an early hour, and search to be made throughout our quarter of the city, when the trembling Thamar, amidst the hootings and execrations of a vile rabble, was detected in a male dress, and conveyed before the elders of our people, where, accused of flagrant crimes, they have ordered her a solemn trial, and placed her in solitary confinement All communication with the prisoner is denied."

"That shall not be!" cried I, "whilst I have voice or influence left. I will straight to the elders of your people, and if they do not deliver up Thamar, I will exert my influence to get them all punished."

"You will ruin Thamar entirely by such a step." said Zipporah. "Your interference will but augment their enmity against her. You will be considered a favoured lover of the accused, she will be banished as an outcast from our people."

Embarrassed by the just representations of Zipporah, I at last. determined on another course, that of propitiating the Bashaw to protect Thamar's innocence. By great industry I discovered that she had been conveyed to a vault beneath some uninhabited and ruined houses in an abandoned part of the town, where the Jews generally met to consult on any affair they wished to keep secret from authority, or to carry into effect any measures which interfered with the power of their masters the Moors.

Thamar was here put upon her trial. Every offence that the wounded vanity and disappointed passion of the priest could suggest was laid to her charge. The ostensible persecutor was the lover Benhadi; but Benatar, who possessed his private reasons for so doing, alleged that the Jewish religion bad been insulted by her conduct, incensed her judges to the highest pitch of exasperation against her. The principal crime, laid to her charge was as a violation of her engagement with Benhadi, by her intimacy with a stranger, a disregard of her holy religion, and an attempt to fly her country in disguise. The document of the promise of marriage, the Moorish dress, the verbal testimony of numerous suborned witnesses, were brought in fearful array against the Jewish maiden. It did not suit the Rabbi's plan to proceed to a definitive sentence at once; he found sufficient pretexts to delay the proceedings, and having succeeded in somewhat appalling the mind of Thamar, which, in fact, his art might have accomplished against a more skilful adversary, he remanded her back to her dungeon

Overwhelmed with sorrow, the lovely Thamar lay on her straw bed, in her damp and gloomy prison-house, when she was aroused from her solitude by the entrance of the Rabbi Benatar.

"Transgressor of our laws," said he, "arise! Does thy humbled pride yet relent? Where is thy fancied security now? Dost thou not yet see the extent of my influence and power?" He proceeded to paint to Thamar, in glowing colours, the proofs of guilt that could be brought against her and hinted that he alone could save her from her impending fate. He bade her reflect on the folly of trifling with his feelings, and to choose between his love and the punishment the law could award.

The hypocrisy and impudence of the Rabbi but tended to increase Thamar's hatred of his proposals. She was tempted to threaten to denounce him to the assembled elders when next she appeared before them; but when she recollected that she had no witnesses of his misconduct, nought but her unsupported word to set up against the Rabbi's life of seeming piety and religious austerity-no proofs which would not be branded as the last efforts of despairing criminality, her heart sank within her, she preserved the silence of despair. The frightful presentiment took possession of her mind, that she must become the victim of his machinations. She tore the hair that veiled her streaming eyes, and cursed the fatal beauty that inspired such cupidity. Benatar pressed her acceptance of his offer. Her grief changed to the utmost indignation. "Sooner than become the victim of your hateful passion," said she, "shall this hand free me from bondage! Proceed, dissimulating priest, to blind the eyes of superstitious followers, and make fresh sacrifices to your duplicity; but remember, I am yet mistress of myself!"

The priest, wondering at her resolution, and exasperated at her defiance of his power, a guilty and irresistible passion reigning within his breast, now thought but of vengeance. "Tremble, proud woman," said he, "at your resolve; none ever yet offended me with impunity." And in a paroxysm of rage and disappointment he quitted the dungeon.

The second sitting of Thamar's judges now approached. Like the cedar of Lebanon, she stood unmoved, in the splendour of her youth and beauty, before this self-constituted tribunal. To the hearts of any other judges her looks alone would have carried conviction of her innocence: but on their prejudiced minds the voice of an angel could scarcely have made an impression. With no hope save that derived from a consciousness of her own rectitude of conduct, she combated all the accusations prompted by the Rabbi Benatar's disappointed hopes.

The old bridegroom and the priest were at once advocates and accusers, the former urged his right of still claiming the hand of Thamar, in case she should be proved innocent, whilst at the same time (a tool in the hands of the designing priest) he laboured hard to prove her guilt. Their evidence was again resumed; the affected solemnity and religious awe of the priest had its weight on the assembly in everything brought against Thamar, whose crime consisted partly in the superiority of her mind over the rest of her tribe. In answer to some questions respecting her opinions and pursuits, she boldly said, "I will not deny that my imagination has been filled with illusions, and that I have, spite of your general customs, striven to cultivate my mind by means of books, that in the vast wilderness of error which surrounds me, I might find some relief from the ignorance in which we are plunged. If to aspire to knowledge be an offence, then am I guilty! If to detest a union, in which my heart could have no share, be a crime, then am I punishable! If to spurn the oppression of bigotry, which weigh down my nation, be an error, then have I done wrong! But I

will cede to none in the purity of my life and manners; and, therefore, I ask to be emancipated from the sentence of a tribunal, at which circumstances render it impossible I should find an impartial hearing."

"Woman!" said the Rabbi Benatar, with severe voice, "you need not thus violently defend yourself. Words are the weapons of your sex. We shall rest the cause of outraged virtue on a severer proof than your own assertions."

The patient and meek Thamar was enraged at these expressions. "Priest," said she, "I will spare you such answer as I am privileged to make. I will only say that no one on earth can be better convinced of the purity of my life than yourself."

The Rabbi was confused. "Thamar," said he, "your judges do not arrogate to themselves the power of reading the human heart; circumstances are certainly sufficiently strong against you to warrant extreme severity; but the Lord, who alone can judge rightly of human transactions, will decide; to Him we have resolved to refer the question of your guilt or innocence. My brother judges have agreed with me upon the proper course to be pursued in this affair. Hold yourself ready to drink of the *water of purity*."

This was a liquid the Rabbi had persuaded his brethren was brought from the Holy Land and possessed the power of exhibiting truth in the most unequivocal light. T was one of the numerous superstitious customs which had obtained in former times, and which the crafty Jewish priesthood had practised for the purpose of destroying those they wished to get rid of The Rabbi Benatar, who was well versed in the mysteries of the cabala, had no difficulty in persuading his brethren that he possessed the secrets of life and death, of good and evil, which their forefathers were reported to have held. He, therefore, easily persuaded his colleagues to concur in the ordeal he proposed for putting the innocence of Thamar to the test. This fiend, under the pretext of asserting the rights of the bridegroom, for whom he pretended the greatest friendship, and, as the champion of a religion whose true precepts he was at that moment trampling under foot, only sought to fill the measure of his own revenge. He had determined, if he could not possess Thamar himself, to prevent her from falling into the hands of anyone else, although her life should be thereby sacrificed; he had therefore prepared a poisonous liquid, which he pretended was pure water, this he sanctified by many mock mysterious ceremonies, and by some sentences which he first wrote on parchment, and afterwards scraped off and mixed with the drink.

The ingenuous Thamar, who dreamt not of the extent of the priest's villainy, but who, at the same time, mistrusted the efficacy of miracles, cheerfully consented to the ordeal her judge proposed. Her guileless soul could not conceive the extent of the priest's malicious jealousy.

Benatar muttered the final prayer; he then handed the goblet, in which the drink had been prepared, to the bridegroom, and commanded him to present the draught to Thamar the confiding girl, secure in the irreproachable tenor of her life, first raised a look to Heaven, and implored her God to protect her innocence, then seized the goblet and raised it to her lips.

At this moment a crash like "echoing thunder" burst the doors of the secret assembly. A turbaned host, with flashing yatagans, poured into the vault, and in a moment seized and manacled every member of this dark tribunal. Shrieks of despair fell from their quivering lips; the elders called upon the God of Israel to deliver them from the violent death which they already saw in anticipation prepared for them. Some fell on their knees, others offered all their worldly possessions to be allowed to escape, big drops of perspiration stood on their pale foreheads. To the Bashaw of Fez, whom I had accompanied, and had stirred up this act of justice, stood in the midst of the affrighted assembly.

"Wretches!" said he, in a voice at which they had been long accustomed to tremble, "since when have ye dared to usurp the power which belongs alone to the Sultan, or to me his deputed representative? Speak, or I will blot ye all from the books of creation Say, Jewess," exclaimed he, turning to Thamar, "why stand you here a prisoner, and what is the meaning of that goblet you hold in your hand?"

Thamar, in softened colours, related the history of her confinement and trial, and, in conclusion, explained how the Rabbi Benatar had merely required her to drink the contents of the goblet she held in her hand, in order to manifest her guilt or innocence, a command with which she was perfectly ready to comply. She implored the Bashaw, as they had consented to so mild an expedient, to pardon their offence, and allow her to satisfy her people by undergoing the prescribed ordeal. She here again raised the goblet to her lips, about to drink off its contents.

"Hold your rash hand, Thamar, for Heaven's sake!" cried I, and whispered a few words to the Bashaw.

The eyes of the Bashaw flashed fire. "Give me the cup!" said he to Thamar, and took the goblet from her hand. "Come forth, thou meddling priest!" cried he to Benatar. The trembling Rabbi, with bent body, crept towards the Bashaw, and kissed the skirt of

his garment. "I fear much," continued the Bashaw, "that this liquid contains some poisonous mixture. Speak, reptile: are my surmises well-founded or not?"

"Most noble Bashaw!" exclaimed the Rabbi, "I swear it contains

nothing injurious to the innocent; it can only affect the guilty."

"Why, then, have ye sought to hide your proceedings beneath the ruins of this abandoned quarter of the city? why, like owls, do ye shun the day-light?"

By the life of Sultan Muley Abdirahman, whom God preserve a thousand years, we meant no harm, it only proceeded from a wish to follow up all our ancient ceremonies in a sort of trial which has long been discontinued amongst us, and at which the bold Mussulman would be apt to scoff."

"You are convinced that the beverage can only hurt the criminal?"

"None else, my lord."

"Then immediately swallow every drop of it, or by my beard, by the grave of my fathers, and by the life of the Sultan I serve, your head shall be severed from your body on the spot

A groan of despair escaped the trembling Rabbi. He threw himself on his knees, and begged the Bashaw to immure him in the deepest dungeon of the city, to take his gold, anything but make him drink of the cup he had prepared."

The Bashaw beckoned four of his black slaves-strong muscular men. "Bear the Rabbi hence," said he, and hurl him up into the air till the falls have broken his neck, then fling his body into the ditch of lions by the eastern wall."

This order would have been as promptly executed as uttered; the Rabbi knew it well, and demanded the goblet. He drank off its contents.

"Curses on ye all," said he, "and may your lives prove bitterer to you than this draught to me, may ye live till" convulsions here seized the Rabbi's frame, and paralyzed his speech. A livid hue usurped his face: he foamed at the mouth, reeled along the pavement, and expired.

Thamar beheld the catastrophe with eyes filled with tears. She now saw, for the first time, the danger to which she had been exposed, and was overcome by the conflict of her feelings. The faithful Zipporah ran to support her, and when she came to herself, pointed me out as her deliverer. The beautiful Thamar overwhelmed me with manifestations of her gratitude. I begged her to bestow her thanks on the Bashaw, which she equally did. This excellent Moslem redeemed his former government from a load of reproach by his noble conduct towards Thamar. He annulled the contract of marriage which Benhadi held, by making his renunciation of her hand the condition of his pardon for the share he had taken in the crimes of the conspirators; the rest he liberated on payment of very heavy sums of money and granted Thamar uncontrolled permission to leave the country whenever she pleased, and a freedom from all responsibility to the jurisdiction of the Jews as long as she wished to remain.

المراجع:

[1] Bekkaoui K. (2008). *Imagining Morocco: An anthology of Anglo-American short narratives*. Moroccan Cultural Studies Centre.
[2] Belamghari, M. (2014). The paradox of identity construction in the age of "Glocalization". In M. Elkouche, M. Belamghari, & L. Barbouchi (Eds.), *Space, Culture, Identity and the Challenges of Globalization* (pp. 31-45). Oujda Center for Human and Social Studies and Researches.
[3] Bhabha, H. K. (1996). Culture's in-between. In S. Hall & P. du Gay (Eds.), *Questions of cultural identity* (pp. 53-60). SAGE Publications.
[4] Said, E. W. (2003). *Orientalism*. Penguin Classics.
[5] Spivak, G. C. (2010). Can the Subaltern Speak? In R. Morris (Ed.), *Can the Subaltern Speak? Reflections on the History of an Idea* (pp.21-78). Columbia University Press.